لَمَحَاتٌ عِلْمِيَّةٌ وَقُطُوفٌ تَفْسِيرِيَّةٌ

د. محمد دودح

الباحث العلمي بالهيئة العالميــة للإعجاز العلمي في القرآن والسنة برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة

لَمَحَاتٌ عِلْمِيَّــةٌ وَقُطُوفٌ تَفْسِيرِيَّةٌ

د. محمد دودح

الباحث العلمي بالهيئة العالميــة للإعجاز العلمي في القرآن والسنة برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

المُقَدِّمَة

لا خلاف في المنهج بين مفسري اليوم للآيات الكونية ومفسري الأمس؛ سوى تَجَلِّي بعض خفايا الخليقة بعد اكتشاف المنظار والمجهر وتطور وسائل الرصد، لتسطع البينة على أن هذا القرآن هو الحق، ولو كان مُفَسِّرِي الأمس مُعَاصِرِين لَسَارَعُوا إلى تفسير الآيات الكونية بالحقائق العلمية، فقد فاضت كتبهم ومن سار على دربهم بوجوه من الإعجاز في القرآن الكريم.

قَالَ الْفَخر الرازي: ""كَانَ عمر بن الحسام يقْرَأ كتاب المجسطي على عمر الْأَبْهَرِيّ فَقَالَ لَهما بعض الْفُقَهَاء يَوْمًا: مَا الَّذِي تقرأونه؟ فَقَالَ الْأَبْهَرِيّ أفسر قَوْله تَعَالَى {أفلم ينْظرُوا إِلَى السَّمَاء فَوْقهم كَيفَ بنيناها} فَأَنا أفسر كَيْفيَّة بنائها، وَلَقَد صدق الْأَبْهَرِيّ فِيمَا قَالَ؛ فَإِن كل من كَانَ أَكثر توغلا فِي بحار الْمَخْلُوقَات كَانَ أَكثر علمًا بِجلَال الله تَعَالَى وعظمته""[1]، والمجسطي هذا كتاب قديم في الفلك والرياضيات ألفه بطليموس حوالي عام ١٤٨م في الاسكندرية، وترجمه إلى العربية حنين بن إسحاق العبادي في عهد المأمون حوالي عام ٨٢٧م[2]، فما بالك بالمجلدات اليوم المزدانة بمفاخر الكشوف ومآثر العلوم!.

وتأتي الملامح العلمية بعفوية وتلطف لا يلفت عن غرض الإيمان، ولا مجال لاستنباط وجه علمي بمعزل عن تفهم بديع أساليب البيان، والخشية من تغير الحقائق العلمية مع الزمن حرص محمود؛ لكن الحقائق ثوابت لا تتغير مع الزمن كظلمة البحر العميق، والقول بأن الاجتهاد قد يصيب وقد يخيب صحيح؛ ولكن حرص المتضلعين بعلوم اللغة والشريعة والطبيعة كفيل بالتصويب.

والتفسير بالعلوم يُوَضِّح ما انتظرته الأيام ليتجلى ويسطع ويتحقق وعد جازم: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ. وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ ص:٨٧و٨٨، ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ٤١فصلت:٥٣، ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ٢٧النمل:٩٣، ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ. لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ٦الأنعام:٦٦و٦٧، ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ ١٠يونس:٣٩، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ. وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ ٣٨ص:٨٧و٨٨.

د. محمد دودح

[1] فخر الدين الرازي؛ مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٠هـ (١٤ \ ١٥٤).

[2] موسوعة ويكيبيديا والشبكة الدولية.

﴿عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ٣٤سبأ:٣.

Paragraph الفَقْرَة

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ٣٤سبأ:٣.

keywords كَلِمَات إِرْشَادِيَّة

﴿عَالِمِ الْغَيْبِ﴾، ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾، ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾، ﴿وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ﴾، ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾.

Translation تَرْجَمَة (تَفْسِيرِيَّة)

Allah knows every predestined future event before it exists; from Whom is not hidden even the equivalent of an atom's weight, be it in the heavens or in the earth. Not even smaller than that or larger (is hidden from His absolute Knowledge)**; everything He decided to exist will certainly happen in his definite time; as if written in a perspicuous Book.**

لمَحَات بَيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

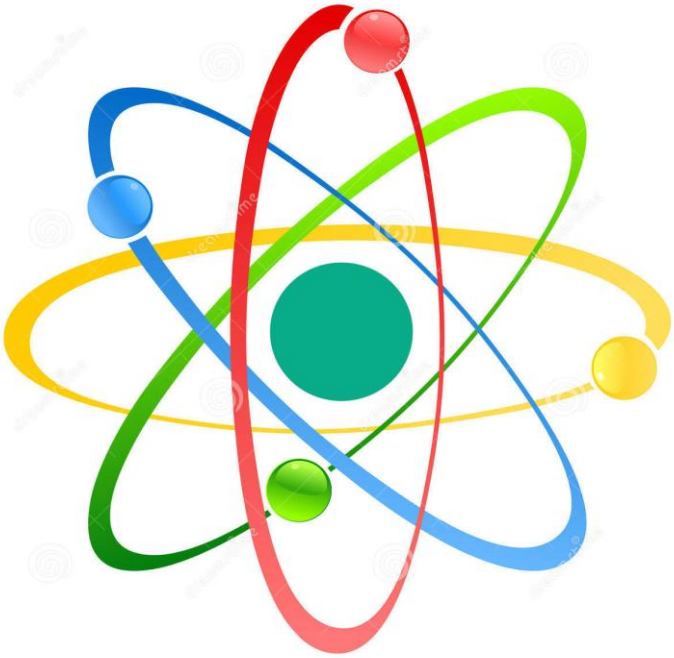

[١] تركيب الذرة

الذرة Atom؛ هي أصغر جزء أو أقل وحدة بناءٍ العنصر الكيميائي، والتي تُميزه عن بقية العناصر وتحتفظ بخصائصه الكيمائية، ويرجع أصل الكلمة الإنجليزية إلى الكلمة الإغريقية "أتوموس"؛ وتعني غير القابل للانقسام، إذ كان يُعتقد أنه ليس ثمة ما هو أصغر من الذرة، ولكن ثبت حديثًا وجود ما هو أصغر منها؛ حيث تتكون من سحابة من الشحنات السالبة (الإلكترونات) تدور حول نواة مُوجبة الشحنة صغيرة جدًا في المركز، وتتكون النواة من بروتونات موجبة الشحنة ونيوترونات مُتعادلة.

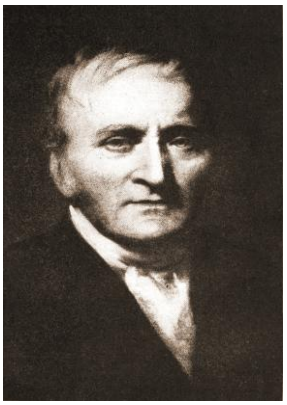

جون دالتون John Dalton
(١٧٦٦-١٨٤٤)

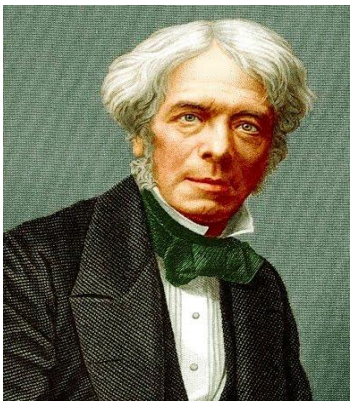

مايكل فراداي Michael Faraday
(١٧٩١-١٨٦٧)

جوزيف طومسون Joseph Thomson
(١٨٥٦-١٩٤٠)

في القرن التاسع عشر اعتقد جون دالتون John Dalton (١٧٦٦-١٨٤٤)؛ أن الذرة مُصمتة؛ ولا تقبل التجزئة، وتوصل مايكل فراداي Michael Faraday (١٧٩١-١٨٦٧) بتحليل بعض الأملاح إلى أن الذرات تحتوي على كهرباء، وفي ٣٠ أبريل عام ١٨٩٧؛ أدهش جوزيف طومسون Joseph Thomson (١٨٥٦-١٩٤٠) الأوساط العلمية بإعلانه أن الجُسيمات المُكونة لأشعة الكاثود هي أصغر حجماً بكثير من الذرات، وقد سُمى هذه الجسيمات بالإلكترونات، وأظهر اكتشاف الإلكترون أن المفهوم القديم عن الذرة، والذي ينطوي على أنها جسيم غير قابل للانقسام كان مفهوماً خاطئاً، وأدى إلى إثارة إشكال لدى الفيزيائيين، لأن الذرة مُتعادلة الشحنة؛ فأين الشحنة المُوجبة التي تُعادل شحنة الإلكترون السالبة؟.

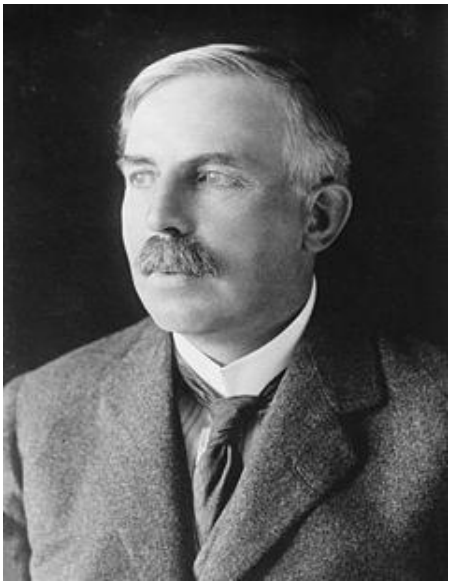

أرنست رذرفورد Ernest Rutherford
(١٨٧١-١٩٣٧)

وفي عام ١٩١١ افترض أرنست رذرفورد Ernest Rutherford (١٨٧١-١٩٣٧) النموذج النووي للذرة؛ مُعتبراً أن الذرة تتكون من كتلة صغيرة جداً وكثيفة جداً ذات شحنة مُوجبة تُسمى النواة؛ وتحتل مركز الذرة، وتحتوي نواة الذرة على جميع البروتونات، ولذا فان كتلة الذرة هي تعبير عن مجموع كتل البروتونات في نواتها؛ حيث أن قيمة كتل الإلكترونات صغيرة جداً، فهي قيم مهملة، كما أن شحنة النواة المُوجبة ترجع إلى تمركز البروتونات الموجبة بها، وتتوزع الإلكترونات في الذرة حول النواة بنفس الطريقة التي تتوزع بها الأجرام السماوية حول الشمس، وبما أن الذرة مُتعادلة كهربيًّا؛ لذا فعدد الإليكترونات السيارة يساوي عدد البروتونات بالنواة،

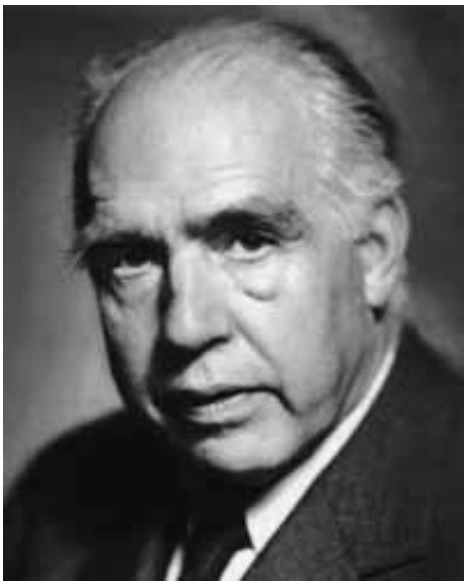

نيلز بور Niels Bohr
(١٨٨٥-١٩٦٢)

وفي عام ١٩١٣ اقترح نيلز بور Niels Bohr (١٨٨٥-١٩٦٢) أن الإلكترونات تدور حول النواة في مُستويات طاقة مُساوية لطاقة كل إلكترون في كل مستوى، فعند إعطاء الإلكترون كمية من الطاقة كالتسخين مثلاً؛ يكتسب الإلكترون طاقة إضافية وينتقل من مستوى طاقته إلى مستوى طاقة أكبر، ويكون الفرق بين طاقتي المستويين مُساوي للطاقة التي اكتسبها الإلكترون، وبعد مرور فترة زمنية مُتناهية في الصغر تقدر بجزء من مائة مليون جزء من الثانية؛ يفقد الإلكترون طاقته المُكتسبة على شكل إشعاع ضوئي، وقد سمى انتقاله إلى مستوى الطاقة الأقل بقفزة الكم للإلكترون، ولقد ساعد نموذج بور للذرة على تفسير الكيفية التي تتفاعل بها الذرات مع الضوء.

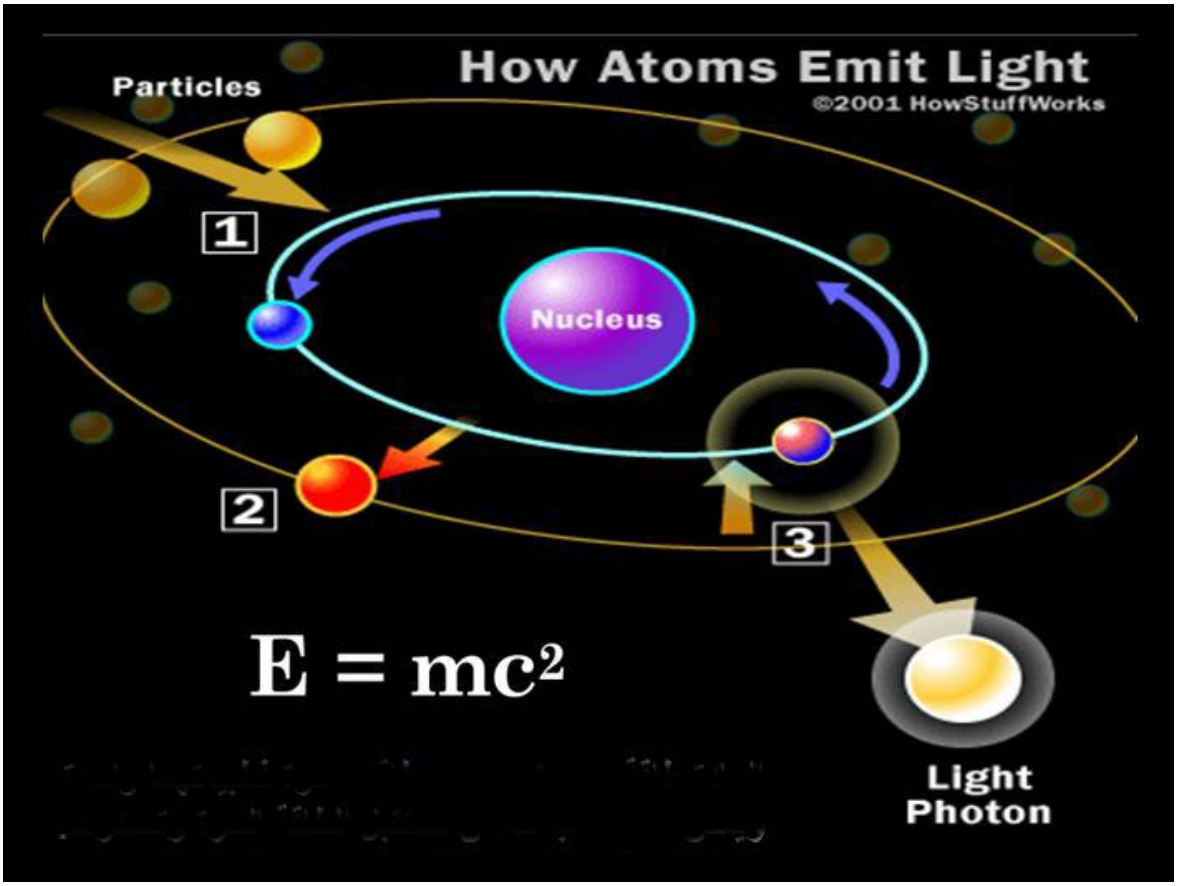

الذرة طاقة مُجمدة والقوى طاقات حرة؛ فطبيعتهما واحدة؛ ويُمكنها استقبال الطاقة لترفع مستوى الإلكترون، ثم تصدرها بهيئة ضوء، ويعود الإلكترون لمستواه الأول.

إرفين شرودنجر Erwin Schrödinger
(١٨٨٧-١٩٦١)

وفي عام ١٩٢٦م اقترح إرفين شرودنجر Erwin Schrödinger (١٨٨٧-١٩٦١) أن حركة الإلكترون البالغة السرعة حول النواة أشبه ما تكون بغيمة مشحونة أو مجال كهربي أكثر من كونه جسيم صلب؛ يُمكن تحديد موضعه، للذرة إذن أجزاء أصغر ونُعاين المواد جامدة ذات حيز نتيجة للحركة العاجلة؛ وكأن أصل كل شيء الاهتزاز والعجل في الخلاء.

وكلما غُصنا أكثر في المادة لنُلاقي الكيانات المادية الأصغر؛ لن يعود هناك فارق بين الوحدات الأساسية لبناء ذرة عنصر وآخر، فلا فرق بين بروتون في ذرة حديد وبروتون في ذرة نُحاس، والبروتونات والنيوترونات والإلكترونات هي نفس المُكونات الأساسية لجميع ذرات العناصر وكل الكواكب والنجوم والمجرات، وترجع الخصائص الكيمائية للذرة إلى عدد ما تحمله من جُسيمات أساسية والذي يُحدد وزنها الذري، فهي التي تصنع الفروق بين العناصر المُختلفة وبين الصُّور المُختلفة للعنصر نفسه؛ والتي تُسمى النظائر Isotopes، ولكن الجُسيمات الأساسية للذرة ليست نهاية المطاف في الضآلة؛ فكل كيان مادي دون الذرة يوجد ما هو أقل منه في تسلسل ينتهي إلى لبنة أولية واحدة مُهتزة بأقصى سرعة مُقدرة، فليس ثمة ما يُميزها سوى الحركة في عجل؛ هو أساس خلق الإنسان وجميع القُوى والمواد، تلك آخر صيحة في الفيزياء؛ توحيد كل شيء في البنية والأصل عند نشأة الكون في لبنة واحدة، هي أساس البناء كله[٣].

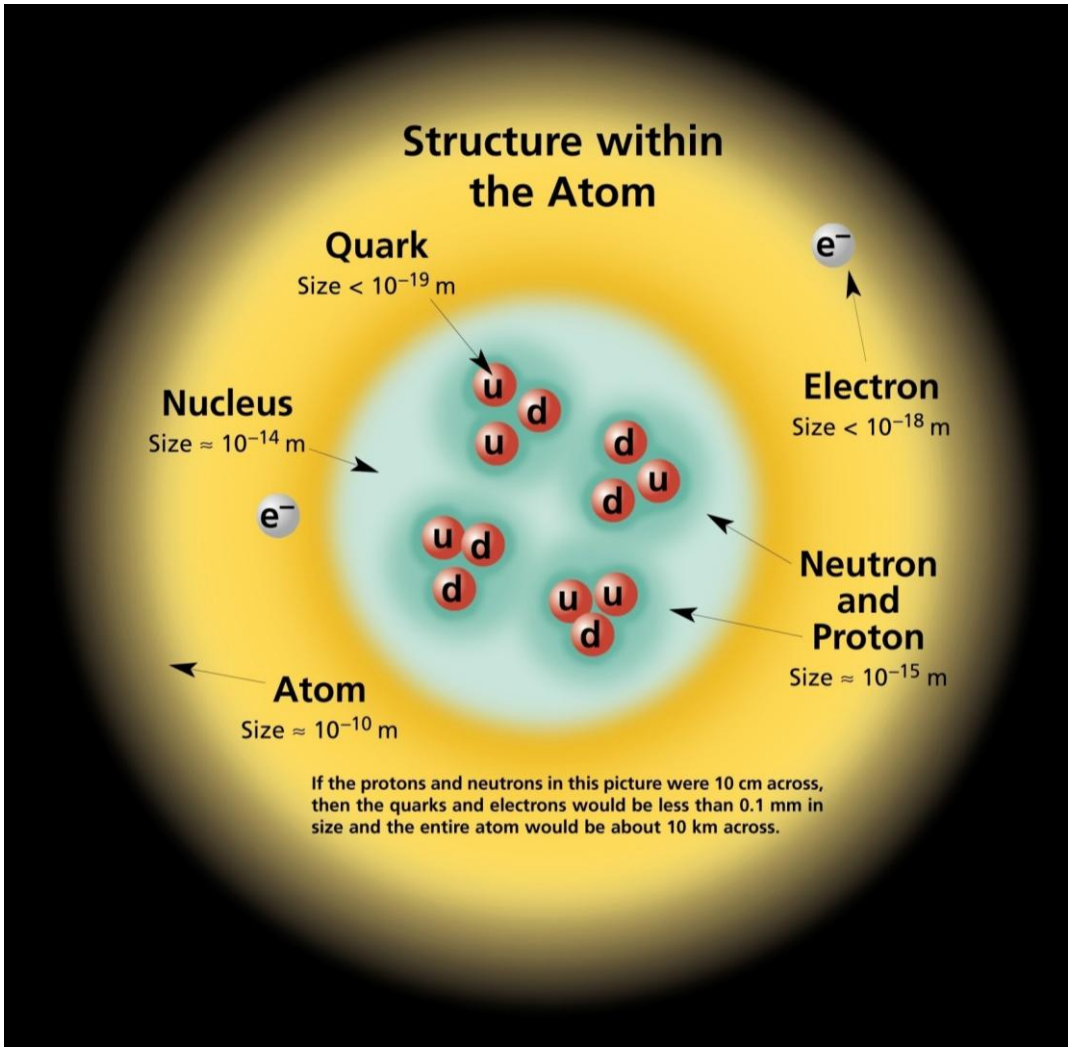

والذرة إذن أقل كيان يحفظ للمادة خصائصها الكيماوية؛ لكنها ليست نهاية المطاف في الضآلة، حيث تتركب من مُكونات داخلية أصغر منها؛ أعطيت أسماء للتمييز، وتتوحد فيها الخصائص العامة لما نُسميه مادة ذات حيز، ويتكون كل من البروتون والنيوترون كيانات أصغر من المادة؛ عبارة عن سفاسف وهُشاشات تُسمى كواركات Quarks، ولو افترضنا أن حيز الذرة بطول: ١٠ كم؛ فسيحتل كل من البروتون أو النيترون حيز بطول: ١٠ سم، وسيحتل كل من الإلكترون والكوارك حيز بطول حوالي: ٠,١ مم، ولكن الواقع أن حيز الذرة حوالي: ١٠قوة-١٠ متر، بينما تحتل النواة حيز بطول حوالي: ١٠قوة-١٤ متر، ويحتل كل من البروتون والنيوترون حيز حوالي: ١٠قوة-١٥ متر، أما الإلكترون فيحتل حيز بطول حوالي: ١٠قوة-١٨ متر، ويحتل الكوارك حيز حوالي: ١٠قوة-١٩ متر، وباقي الذرة كله فضاء.

[٣] Wikipedia International Encyclopedia

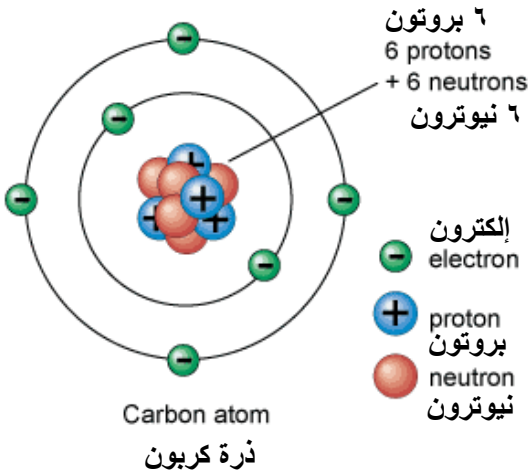

وإذن أقل وحدة للمادة فيزيائيًّا هو ذرة العناصر مُتناهية الثقل، وربما لم يعرف العرب سوى النمْلة او الهَبَاء تعريفا للذرة، ولكن القرائن تُرجح استخدام لفظ (ذرة) في القرآن الكريم بالمعنى الفيزيائي في مثل قوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ﴾ ٣٤سبأ:٢٢، فليس معهودًا وجود نملة في السماء؛ بينما تُوجد ذرة العناصر في الأرض والسماء، فهي وحدة بناء النُّجُوم والمجرات، والسياق ينفي أن يكون لهم أقل القليل من الشراكة في الخلق والتدبير بالكون؛ وذرة العناصر أقل بما لا يُقارن بنملة، والأنسب للسياق إذن في التمثيل بأقل القليل هو ذرة العناصر؛ ولا تليق النملة الأضخم كثيرًا لنفي الشراكة مع القدير.

حبة الخردل ضئيلة الحجم والثقل؛ لا يكاد يشعر الإنسان أن لها ثقل.

وفي سياق غاية القلة؛ شُبِّهَت أقل المادة بحبة خردل مُتناهية الثقل عِوَضًا عن الذرة بيانًا لعدل الله تعالى وواسع علمه وقدرته: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ النساء: ٤٠،: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ ٢١الأنبياء:٤٧، ولكن الذرة اختصت دون حبة الخردل بوجود ما هو أصغر منها: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ يونس: ٦١، ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ٣٤سبأ:٣.

وكأن حبة الخردل البالغة الضآلة المُتناهية الثقل؛ هي أقرب مثال في بيئة العرب زمن التنزيل للذَّرَّة الخفية عن الأنظار، وجزيئات المواد هي الأكبر في إطار الذرة وفق تعريف الفيزياء؛ والتعبير: ﴿فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾؛ تمثيل لبيان سبق التقدير والعلم بالشيء قبل تحققه في الواقع: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾ الكهف: ١٠٩، ومثله: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ ٣١لقمان:٢٧، وهكذا يَتَّضِح أن التعبير بالتمثيل من بيئة العرب زمن التنزيل أسلوب مُفَضَّل؛ حتى إذا بلغه العَالِمُون بخفايا التكوين؛ عرفوا معناه وأدركوا مغزاه: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ ٢٩العنكبوت: ٤٣.

وضَرْبُ المثل بالذَّرَّة في القِلَّة والتصريح بوجود كيانات مادية أصغر منها؛ يتفق مع اكتشاف جسيمات تتألف منها الذرة، ويَتَضَمَّن لفظ ﴿أَصْغَرَ﴾ التَّدَرُّج في الصِّغَر؛ فلكل أصغر كيان أصغر منه، ونهاية المطاف إذن لبنة واحدة هي أساس الكون كله، وانتهت الفيزياء إلى أن نشأة الكون بحالة تَوَحُّد من مادة بناء أساسية واحدة Essential Building Matter؛ لبنتها واحدة في حالة أحدية وتفرد Singularity؛ تُعْلِن للفطين بأن القدير واحد أحد فرد صمد؛ لا مثيل لحكمته ولا نظير لقدرته.

ما أشبه التمرة بالذرة في وجود النواة، وبها تكوينات متدرجة الضآلة؛ هي الغشاء الرقيق حول النواة (القطمير)، ثم فتلة صغيرة في شق النواة (الفتيل)؛ وأخيرًا نقرة متناهية الضآلة واحدة تنشأ منها نخلة (النقير)، وبالمثل بالذرة جسيمات متدرجة الضآلة؛ آخرها لبنة واحدة متناهية الضآلة نشأ منها الكون.

وفي سياق بيان أقل كيان مَادِّي؛ ضُرِبَ المَثَل في القرآن الكريم بأقل من تمرة؛ بخلاف التمثيل بحبة الخردل أقل الحبوب المعروفة للعرب كمثال للذرة، وكأن أجزاء التمرة مثال لأجزاء الذرة: ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ فاطر: ١٣؛ وهو غشاء رقيق يحيط بنواة التمرة، ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ النساء: ٧٧، ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ النساء: ٤٩؛ والإسراء: ٧١؛ والفتيل فتيلة بشق النواة أكثر ضآلة لأنه جزء من الغشاء، ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ النساء: ١٢٤، ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾ النساء: ٥٣؛ وهو نقرة مُتناهية الضآلة بالكاد تراها العين في ظهر النواة مُقابل الشق، لكنها الأساس الذي تنشأ منه نخلة كاملة، والتمثيل بالتمرة ذات النواة يُناظر اكتشاف نواة للذرة بالمِثل، والتمثيل بأجزاء من التمرة بدون لفظ: (مثقال)؛ يتفق مع وجود أجزاء بالذرة لا يُدْرَكُ لها ثقل.

قال الخفاجي: "الفتيل مَثَلٌ يُضرب للحقارة؛ كالنقير للنقرة التي في ظهر النواة، والقطمير وهو قشرة النواة الرقيقة"، وقال القرطبي: "كِنَايَةٌ عَنْ تَحْقِيرِ الشَّيْءِ وَتَصْغِيرِهِ.. وَمِثْلُ هَذَا.. ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ النساء: ١٢٤، وَهُوَ النُّكْتَةُ الَّتِي فِي ظَهْرِ النَّوَاةِ؛ وَمِنْهُ تَنْبُتُ النَّخْلَةُ"، وقال ابن عطية: "لا شيء دُونَه في الصِّغَر"، والتمثيل بأجزاء تتدرج في الصِّغَر من تمرة إلى نقرة واحدة بالغة الضآلة، لكنها أساس تكوين نخلة كاملة؛ يتفق مع اكتشاف فصائل من جسيمات دون الذرة مُتَدَرِّجَةٌ في الصِّغَر تنتهي إلى لبنة واحدة عديمة الكتلة وبالغة الضآلة لا شيء دُونَها في الصِّغَر، ولكنها أساس الكون كله.

[٢] وحدة التقدير برهان وحدانية القدير

في سياق بيان تقدير كل شيء؛ يقول العلي القدير: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ. وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ ٥٤القمر:٤٩و٥٠، وجاءت الكلمة المُفردة (أَمْرُنَا) نظير (كُلَّ شَيْءٍ) فأفادت أن الأصل وأساس بنية كل شيء أمر واحد، يُقابله في الفيزياء: مادة أولية خام كانت تُسمى الهيولي، صنع منها القدير كل شيء؛ كالقطن تُصنع منه شتى الملابس، واللمح: وميض ضوء بالكاد تلمحه العين لسرعته، قال ابن فارس: "اللمح أصل يدل على لمع شيء"[٤]، وقال ابن سيده: "لَمَعَ الشيءُ: أَضَاء"[٥]، وفي بيان وجه التشبيه بومضة الضوء؛ قال الألوسي: "الغرض من التشبيه بيان سرعته"[٦]، وقال أبو حيان: "لَمَّا كَانَ أَسْرَعُ الْأَحْوَالِ وَالْحَوَادِثِ فِي عُقُولِنَا هُوَ لَمْحُ الْبَصَرِ ذَكَرَهُ.. بِكَوْنِهِ مِثْلَ لَمْحِ الْبَصَرِ فِي السُّرْعَةِ"[٧]، "تَشْبِيهٌ بِأَعْجَلِ مَا يُحَسُّ"[٨]، وقال الرازي: "اللَّمْحُ بِالْبَصَرِ مَعْنَاهُ (ضوء) الْبَرْقُ يَخْطَفُ بِالْبَصَرِ وَيَمُرُّ بِهِ.. وَذَلِكَ فِي غَايَةِ السُّرْعَةِ..؛ (بل) ونهاية السرعة"[٩]، وسرعة الأمر إذن كسرعة الضوء، قال الجزائري: "قوله تعالى: {وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ}؛ يُخبر تعالى.. عن علمه.. بسرعة كسرعة لمح البصر"[١٠]، والتعبير عن كل شيء بلفظ مُفرد (الأمر) يوافق أن الأصل عند خلق الكون مادة أساسية واحدة؛ تنويهًا بالأمر بكلمة (كُن)، والمُوجه للغير موجود كأنه موجود؛ بيانًا تصويريًّا للمشيئة العلية النافذة والقدرة المُطلقة المُبدعة.

---

[٤] أحمد بن فارس القزويني؛ معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر؛ ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م (٥\ ٢٠٩).

[٥] أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده؛ المخصص، تحقيق خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م (٤\ ٣٨٤).

[٦] شهاب الدين محمود الألوسي؛ روح المعاني، المحقق علي عبد الباري، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٥هـ (١٧\ ٤٣٥).

[٧] أبو حيان أثير الدين الأندلسي؛ البحر المحيط في التفسير، المحقق صدقي محمد جميل، دار الفكر بيروت؛ ١٤٢٠هـ (٦\ ٥٧٣).

[٨] أبو حيان أثير الدين الأندلسي؛ البحر المحيط في التفسير، المحقق صدقي محمد جميل، دار الفكر بيروت؛ ١٤٢٠هـ (١٠\ ٤٩).

[٩] فخر الدين الرازي؛ مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٠هـ (٢٩\ ٣٣٠).

[١٠] جابر بن موسى بن عبد القادر أبو بكر الجزائري؛ أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة، الطبعة الخامسة؛ ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م (٥\ ٢١٩).

ولفظ (الْأَمْرَ) في مثل قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ السجدة: ٥، وقع مفعولاً به، يعني ما أمر الله تعالى به؛ وهو المأمور الذي كان عن أمره تعالى، أي ما أوجده ابتداء بقوله: (كُن)؛ أي أصل المادة والعُنصر الأول لها، قال الألوسي: "الأمر راجع إلى المُراد لا إلى الإرادة.. (أي) الأشياء المُرادة المُكونة"[١١]، يعني كما قال ابن تيميه: "مادة العالم وهيولاه المُتميزة عن صورته..؛ فإن هذه الصورة المُحدثة من الحيوانات والنبات والمعادن ليست قديمة باتفاق جميع العقلاء"[١٢]، "وفي لغة العرب التي نزل بها القرآن أن يسمى المفعول باسم المصدر فيسمى المخلوق خلقا لقوله (هذا خلق الله).. ولهذا يسمى المأمور به أمرا"[١٣]، "والأمر الكوني كقوله..: (وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر).. فهذا أمر تقدير كوني؛ لا أمر ديني شرعي"[١٤]، "ولفظ الأمر يُراد به.. المفعول.. كما قال تعالى: (أتى أمر الله).. فهنا المراد به المأمور به؛ وليس المُراد به أمره الذي هو كلامه"[١٥]، "و.. عن عمران بن حصين أن أهل اليمن سألوا النبي (عليه الصلاة والسلام) عن أول هذا الأمر.. فقال (كان الله ولم يكن شيء غيره)"[١٦]، وقولهم (جئنا لنسألك عن أول هذا الأمر) كان مُرادهم خلق هذا العالم.. فهذا الأمر إشارة إلى حاضر موجود..؛ وهو المأمور الذي كونه الله بأمره، وهذا مُرادهم"[١٧]، "(و) ألفاظ المصادر يعبر بها عن المفعول؛ فيسمى المأمور به أمرا... والمخلوق بالكلمة كلمة، فإذا قيل في المسيح أنه كلمة الله فالمُراد به أنه خُلِقَ بكلمة.. كن..؛ وإلا فعيسى عليه السلام بشر..، وكذلك إذا قيل عن المخلوق أنه أمر الله؛ فالمراد أن الله كونه بأمره"[١٨]، "وهذا قول سلف الأمة وأئمتها وجمهورها"[١٩]، "وبهذا التفصيل يزول الاشتباه في مسألة الأمر"[٢٠].

---

[١١] روح المعاني ج١٤ص١٤٤.
[١٢] الفتاوى لابن تيمية ج٢ص١٤٤.
[١٣] دقائق التفسير ج١ص٣٢٥.
[١٤] شفاء العليل ج١ص٢٨١.
[١٥] الفتاوى ج٨ص٤١٢.
[١٦] بيان تلبيس الجهمية ج١ص١٥٢.
[١٧] الفتاوى ج١٨ص٢١٥.
[١٨] الفتاوى ج١٧ص٢٨٣.
[١٩] الفتاوى ج٤ص٢٢٧.
[٢٠] شفاء العليل ج١ص٢٨٠.

[٣] تاريخ مجيد على درب التوحيد

حقق العلم قفزات هائلة لمعرفة طبيعة الكون وتطوره؛ فانتهى إلى التوحيد في البنية والنظام، في عام ١٦٧٦ نجح أولاس رومر Olas Roemer من تقديم أول دليل على أن سرعة الضوء محدودة غير لحظية وإن كانت هائلة، وفي عام ١٦٨٧ توصل إسحاق نيوتن Isaac Newton إلى قوانين حركة الأجسام ومفهوم الجاذبية كقوة واحدة تفسر سقوط تفاحة تجذبها الأرض كما تفسر جذب القمر نحوها فتمنع قوة الطرد المركزي سقوطه لِتَزَايِد سرعته كلما اقترب، وكأن الجاذبية تدفعه للحركة كسقطات متوالية، وبالمثل يجب أن تكون كل الأجرام السماوية حيث يتبع التابع الجسم المركزي ذي الكتلة الأكبر على بعد يحدده قانون الجاذبية؛ وبهذا توحدت الأرض والسماء وتأسست الفيزياء الكلاسيكية.

وفي عام ١٩٠٠ توصل ماكس بلانك Max Planck إلى أن الموجات تصدر عن الذرة بهيئة كميات متساوية متقطعة أجزاء متعاقبة سميت كمات Quanta؛ وسمى أقل مقدار للكم من الطاقة بثابت بلانك Planck Constant، وسمى أقل مسافة للكم الضوئي أي الذي تقطعه وحدة الضوء الفوتون Photon بمسافة بلانك Planck Distance؛ ومقدارها بالتقريب: ١٠ قوة-٣٨ كم، والزمن الذي لا يوجد أقل منه ويستغرقه الفوتون لينتقل بسرعة الضوء مسافة تعادل مسافة بلانك يُسمى بزمن بلانك Planck Time؛ وقيمته بالتقريب: ١٠ قوة-٤٣ ثانية، وتوصل بلانك كذلك إلى أن الموجات الكهربائية ما هي إلا وجه للمغناطيسية؛ فوحدهما معا تحت مُسمى الموجات الكهرومغناطيسية.

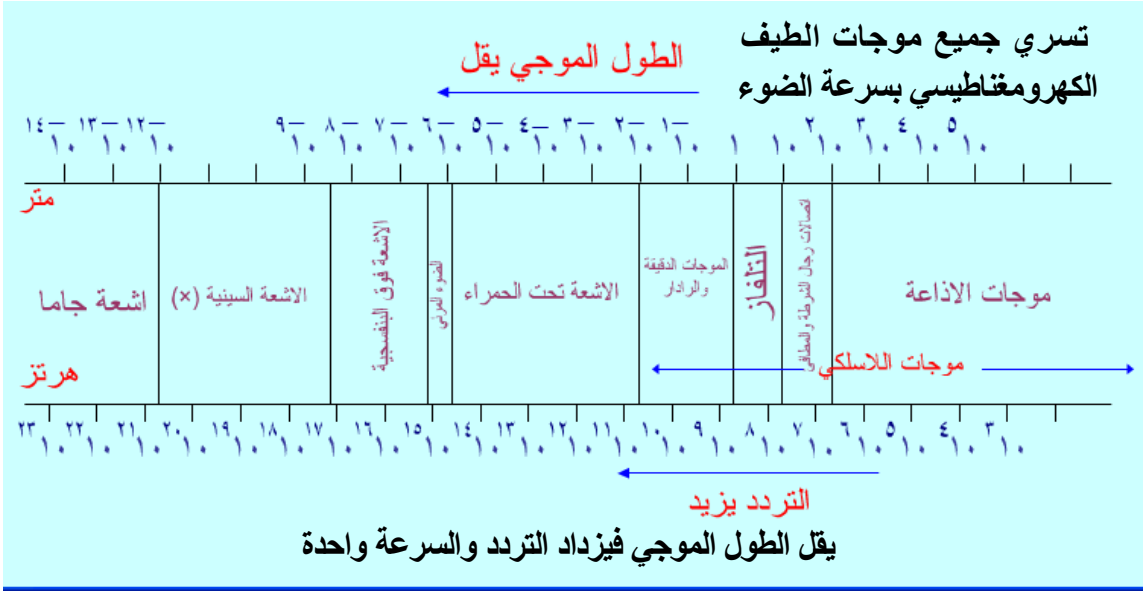

يقل الطول الموجي فيزداد التردد والسرعة واحدة

وفي عام ١٩٠٥ نشر ألبرت أينشتاين Albert Einstein مفاهيم النسبية الخاصة نافيًا وجود سكون في الكون لتنسب إليه حركة جسم فالكل يتحرك؛ لذا تُنسب حركة الجسم لآخر متحرك، إذن حركة كل الأجسام نسبية Relative، وسرعة الضوء هي الوحيدة المُطلقة Absolute فسُميت الثابت الكوني للحركة Universal Constant of Motion، لأنها ثابتة مهما تحرك أي مراقب أو سكن، وهي سرعة الطيف الكهرومغناطيسي كله ويجب أن تكون سرعة أمواج الجاذبية كذلك، وكلما تزايدت سرعة جسم ذو كتلة لتقترب من سرعة الضوء تزايدت الكتلة وتضاءل طوله وقل الزمن، ومع بلوغ سرعته قيمة سرعة الضوء تُصبح الكتلة لا نهائية ويتلاشى الطول ويتوقف الزمن؛ لذا لا يبلغها سوى جسيم بلا كتلة، والموجة تنتقل عبر الفضاء بسرعة غير لحظية لا تتجاوز سرعة الضوء؛ وإذا اختفت الشمس كافتراض فجأة فلن نشعر في الأرض بالأثر لحظيًّا وإنما بعد دقائق بسبب سرعة الانتقال المحدودة، والعلاقة بين الكتلة وحركة جسيم بسرعة الضوء (c) ليتلاشى ويتحول إلى طاقة حرة لعلها قد استوحت فكرة أن الكتلة Mass (M) ما هي إلا طاقة Energy (E) مُكَدَّسَة مُجَسَّدَة، فأمكن التوصل إلى أنه يُمكن تحويل كتلة جسم M إلى طاقة E والعكس وفق علاقة ثابتة ($E = Mc^2$).

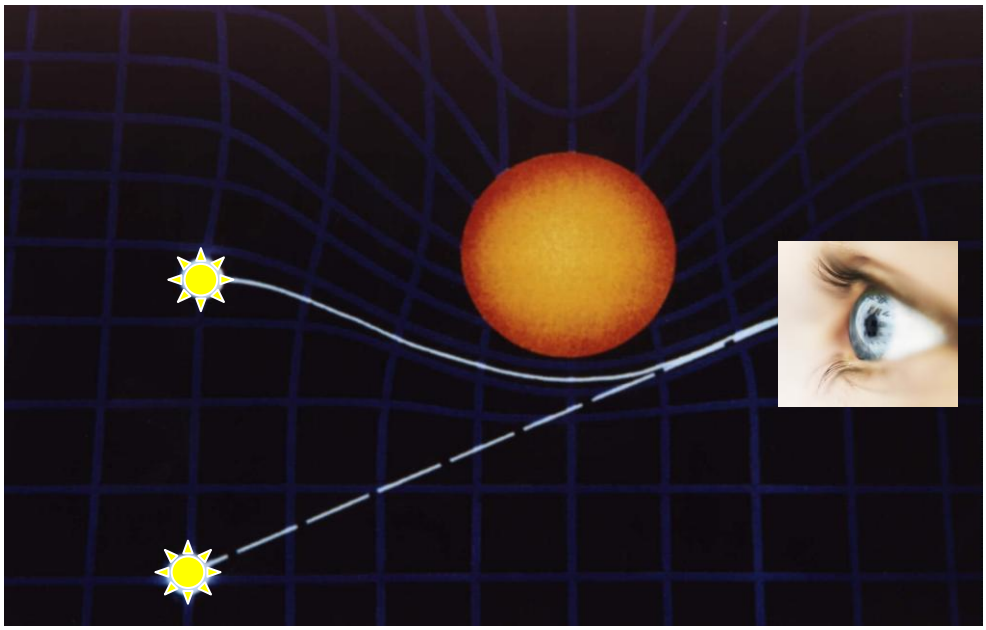

وفي عام ١٩١٥ نشر ألبرت أينشتاين نظرية النسبية العامة General Relativity؛ وطرح فيها فكرته الجريئة بإضافة الزمان كبعد رابع إلى أبعاد المكان (الطول والعرض والارتفاع)؛ لجعل طبيعة الفضاء نسيج زمكاني أشبه بشبكة الصيادين، فالمكان والزمان مرتبطان وكليهما نسبيان فضمهما أينشتاين معا بمصطلح الزمكان Space-Time تعبيرًا عن الفضاء؛ ويُحْدِث فيه كل جرم تقعرًا حسب ثقله، فالتقعر الذي تُحدثه الشمس في النسيج الكوني المَرِن أكبر من التقعر الذي تحدثه الأرض؛ فيؤدي لدورانها حول الشمس في أطراف التقعر الكبير الذي أحدثته على النسيج، فالنسيج الكوني المُنحني يفرض على الأرض بسبب الشمس أن تسير وفق ذلك الميلان فتبدو أنها مشدودة للشمس بقوة الجاذبية، والأرض إذن لا تدور حول الشمس لأنها تطلق قوة لتمسك بها؛ بل لأنها تسير في منحنيات النسيج الكوني، والفضاء المنحني Curved Space يُجْبِر مَسَار ضوء نجم يمر بجوار كتلة كبيرة كالشمس أن ينحني؛ وتحققت النبوءة برصد تقارب البُعد بين نجمين عند الكسوف لانحناء الضوء نحو الشمس، هذه المفاهيم هي أساس الفيزياء الحديثة.

وفي عام ١٩١٦ قدم كارل شوارتزشيلد Karl Schwarzschild فكرة الثقوب السوداء Black Holes استنادًا على مفهوم نسيج الفضاء الكوني الذي ينحني تحت تأثير الكتلة، فاقترح أن كتلة كبيرة ككتلة نجم ضخم إذا تكاثفت في مكان صغير فإنها ستحني النسيج الكوني لدرجة لا تسمح لشيء بالهروب من جذبه ولا حتى الضوء، وبقي الاعتقاد أنها مجرد نظرية؛ إلى أن تم رصد مادة متوهجة كأنها تُبتلع حول مناطق غير مرئية كمركز مجرتنا، فكسبت فكرة الكون المنحني مزيدًا من التأييد؛ وأعطت إيحاءً باحتمال أن الكون كان بالمثل في حيز ضئيل وتمدد.

وفي عام ١٩٢٢ اقترح ألكسندر فريدمان Alexander Friedmann فرضية تمدد الكون استنادًا لطبيعة النسيج الكوني وفق مفهوم النسبية العامة، وفي عام ١٩٢٧ أعطى جورج لومتر Georges Lemaître فرضية امتداد الكون من نقطة أولية كثيفة اسم: "افتراض الذرة الأولية"، وفي نفس العام أطلق عليها فريد هويل Fred Hoyle ساخراً في برنامج إذاعي في محطة B.B.C. الاسم الذي شاع لاحقًا: الانفجار الكبير Big Bang؛ لأنه كان يرفض أن للكون بداية، وقدم عام ١٩٤٩ مع توماس غولد وهيرمانبوندي نظرية الكون الأبدي أو الحالة الدائمة Steady State theory.

وفي عام ١٩٢٩ اكتشف إدوين هابل Edwin Hubble أن المجرات البعيدة في طيف الضوء القادم منها منزاحة نحو الجانب الأحمر مما يعني أنها في ابتعاد تتناسب سرعته مع البعد وفق ثابت سمي بثابت هابل؛ كحالة صفير قطار تتضاغط الموجات بقدومه فيصبح حادًّا وتتخلخل مع ابتعاده وتسمى ظاهرة دوبلر Doppler phenomenon، فاستُنتج أن الكون قبل تمدده كان في الماضي منحصرًا في نقطة ضئيلة كثيفة يعكس شدة حرارتها إشعاع مميز؛ رصده أرنو بنزياس وروبرت ويلسون عام ١٩٦٤ من كل جهة فسمي الخلفية الإشعاعية Background Radiation، وتأكد أن للكون بداية وعمر محدود، وصحة التوسع والانتفاخ Inflation كالبالون؛ وإن شاع باسم الانفجار الكبير.

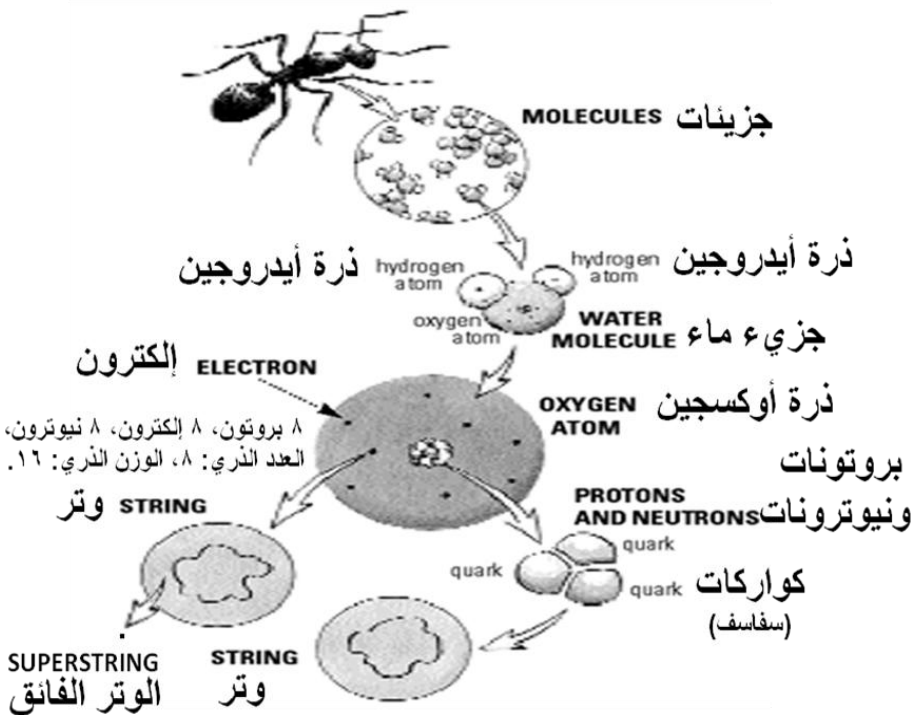

وفي عام ١٩٦١ اقترح موري غيل وكازوهيكو نيشيجيما أن النيوترونات والبروتونات الجسيمان الرئيسيان في نواة الذرة ليسا أقل شيء لا ينقسم؛ وإنما مصنوعان من لبنات سميت كواركات Quarks؛ أي سفاسف وهشاشات، وإذا ذهبنا بالمثل في أعماق الكوارك باتجاه الضآلة سنجد ما هو أقل منه، أي نتفه أو ندفة واحدة مهتزة من الطاقة بمقاييس بلانك في ضآلة الطاقة وزمن الاهتزاز والطول؛ أشبه بخيط أو بالأحرى وتر موسيقي متناهي الضآلة يهتز، وهكذا ظهرت الفكرة بأن بنية كل شيء أوتار تهتز؛ وأن منها ما يتشكل حلقات مُترابطة كنسيج القمصان المعدنية، وعلى هذا فدلالة كلمة الحبك على النسيج في وصف الكون لا تختص بالمستوى الكبير فحسب وإنما بنية جميع الذرات.

وفي أوائل الثمانينات من القرن الماضي طَوَّرَ جون شوارتز ومايكل غرين نظرية الأوتار Strings Theory، وفي خطوة أخرى نحو التوحيد Unification؛ قام إدوارد ويتن Edward witten في أواسط الثمانينات بتعديلها وأطلق عليها اسم نظرية الأوتار الفائقة M-Theory، وهي تجمع بين مجال ميكانيكا الكم في مجال الذرة والنسبية في المجال الكبير؛ وتُوَحِّد بين القُوَى والمواد وتصف المادة على أنها حالات اهتزاز متباينة لوتر أساسي واحد؛ كما يُعطي وتر الكمان أنغام متباينة باختلاف طوله، أي أن كل ما في هذا الكون من مادة أو طاقة أو شحنات هو في الواقع أوتار لكنها مهتزة بطرق مختلفة؛ وكأن الكون عبارة عن أنشودة مُتقنة مُوحدة الإيقاع وباختلاف اهتزاز الأوتار ينشأ تنويع لا يُعرف حَدُّه من بديع الكلمات، فتهافت الفيزيائيون عليها وسُميت نظرية كل شيء Theory of Everything، وكل تلك التسميات محاولات ضمن النموذج القياسي Standard Model المُستقر منذ عام ١٩٧٠ لفهم طبيعة الكون؛ والقائم على أن للكون بداية محددة في ظروف حرارة شديدة بردت مع التوسع فنشأت تنويعات الذرات وطبقات الأجرام.

ووفق النموذج القياسي تتكون المادة من كواركات هي لبنات البروتونات والنيترونات؛ في حين أن عائلة الليبتونات تضم مع الإلكترونات ما يُعرف باسم الإلكترون نيوترينو Electron Neutrino، وهو جسيم أولي لا يملك شحنة وكان قد افترض وجوده فولفغانغ باولي عام ١٩٣٠؛ واكتشفه فريق بقيادة فريدرك راينس وكلايد كوان عام ١٩٥٦، أما القوى الأربعة فهي الجاذبية Gravity والكهرومغناطيسية Electro-Magnetism والقوة النووية القوية Strong Force التي تقوم بضم مكونات نواة الذرة ومنعها من التبعثر بمعادلة أثر تنافر البروتونات الموجبة الشحنة، والقوة النووية الضعيفة Weak Force التي تقوم بكبح جماح أنوية الذرات الثقيلة المُشعة من الانشطار الذاتي فجأة.

وهكذا انتهت ملحمة الفيزياء إلى توحيد كل شيء في البنية والنظام من أصغر لبنة في الذرة إلى اللبنات العظام التي شيدت الكون؛ من المجموعة الشمسية إلى آخر أفق الكوازارات، فما نُسميه فضاء هو مجالات مادية طرائق صنعتها حولها كتل الأجرام الكونية، والفضاء إذن ليس فراغًا، وبنية الكون معارج تتموج وتتقوس وتنحني، وحتى الجسيمات دون الذرة تسبح كذلك في فضاء مادي كالسمكة تسبح في الماء، وكأن الكون كله خشبة مسرح تَعْرِض للفطين ملحمة الخلق المَحْبُوك بإتقان ونظام مقصود بلا عشوائية ولا مجال لمصادفة؛ لعله يدرك المغزى.

ولكن هويل نسب الحكمة والذكاء للنسيج وتجاهل من حاكه في كتابه: الكون الذكي The Intelligent Universe، وتبعه هاوكنج في كتابه: التصميم العظيم The Grand Design بقوله: لا دليل؛ وكأن الكون المهيب والتصميم الرائع ليس بدليل؛ وما هو إلا انتحار في مواجهة التيار الجارف للعلم نحو التوحيد؛ وبداية تجعل الكون عارض وعمره محدود، وخالف هويل نفسه في مقالة عام ١٩٨١ بقوله: "أن احتمال ظهور أشكال الحياة صدفة يُقارن بفرصة قيام سيل يمر بساحة خردة؛ بتجميع طائرة بوينج ٧٤٧ صالحة للطيران"، وبالمثل خالف هاوكنج نفسه في كتابه: تاريخ موجز للزمن Brief History of Time؛ بقوله: "طالما أن للكون ابتداء؛ فحتمًا له خالق"[٢١]، ووفق الموسوعة البريطانية فإن اختيار كل الأحماض الأمينية Amino Acids التي هي أساس تكوين البروتينات؛ لتكون عسراء الاتجاه صدفة بلا تدخل مقصود لإرادة مُوَجِّهَة؛ أشبه بقذف عملة معدنية في الهواء مليون مرة والحصول دائماً على نفس الوجه!، ونشأة خلية حية واحدة إذن من ذاتها يُعد احتمالا مُستحيلا؛ مثل احتمال قيام قرد بكتابة تاريخ البشرية كله على آلة كاتبة بلا أخطاء.

ومن البديهي أن النظام Order لا تَصْنَعُهُ فوضى Chaos والصدفة لا تُفَسِّرُه؛ وإنما هو شاهد عدل على الخلق مهما كانت الكيفية، ولو كانت التغيرات غير مقصودة؛ فَلِمَ كانت دائمًا في اتجاه الأصلح لتبني الكون المنظوم المحبوك؛ والتنويع مع وحدة البنية يُعارض الإلحاد Atheism، وليس إلا مشيئة الخالق وسبق تقديره وحسن تدبيره بِعِلْم واقتدار، والفلسفة المادية الناكرة لمبدأ الخلق قد دحضتها كل ميادين العلم؛ وإلا انعدم ثبات القوانين، ومن يظل مُعتقدا بها عليه ألا يحسب نفسه من المُحققين، وقد رأي أينشتاين في صنع الله تعالى: النظام والقصد والحكمة والتناسق والبساطة والأناقة والجمال؛ وهي رؤى ثاقبة للكون المنظوم المُتقن المحبُوك، ولو كان وليد الصدفة ما كان نظام وآليات وقوانين على كافة المستويات، قال نيوتن: "إن هذا التكوين البديع في النظام الكوني يجب أن يُفهم منه القصد في التنظيم"، وقال ماكس بلانك: "ينبغي على كل من يدرس العلم بجدية أن يقرأ العبارة الآتية على باب محراب العلم: تَحلَّى بالإيمان".

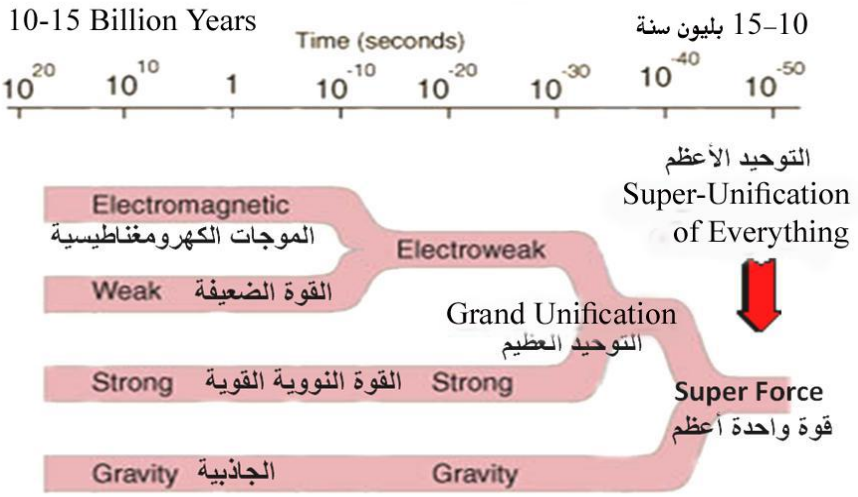

وفي قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ السجدة:٥؛ كلمة (السَّمَاءِ) بالإفراد تعنى الكون كله باعتبار توحيد الابتداء كفضاء لم تميزه بعد عناقيد الأجرام سماوات؛ مادة خام واحدة صنع منها القدير كل شيء، وتوحدت فيها جميع القوى والمواد فيما يُسمى بالتوحيد الأعظم لكل شيء: Super-Unification of Everything؛ وتسمى القوة الأعظم Super Force، كان لإفراد لفظ (السَّمَاءِ) إذن في دلالته على الكون إشارة ضمنية على توحيد كل شيء في الأصل؛ وأكده إفراد لفظ الأمر: (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ)؛ تنويهًا للأمر بكلمة: (كُن).

[٢١] Stephen Hawking, Brief History of Time, page 122.

الشيخ طنطاوي جوهري
(١٨٧٠-١٩٤٠)

قال طنطاوي جوهري: "(إفراد الأمر يعني أنه) لا وجود في الأصل إلا لمادة واحدة بسيطة والقوى الطبيعية كلها صادرة بالتسلسل عن قوة أصلية واحدة، وتتباين القوى إنما جوهرها في الأصل واحد، وكل ما يقع أو لا يقع تحت نظرك من الوجود؛ فهو صادر عن مادة أصلية واحدة"[٢٢]، فهذا العالم كله أصله مادة واحدة هي الأصل لهذه الموجودات ومنها تكونت المادة والكهرباء والمغناطيسية والحرارة والضوء، فهذه كلها صفات وتنوعات في المادة الأساس..، ولا تزال المادة واحدة واختلاف المظاهر وقتي..، (وقد) خلق اللهُ العالمَ من مادة واحدة ليستدلوا على وحدانيته وقدرته"[٢٣].

ووفق نظرية الأوتار؛ كأن الوجود آلة ضخمة ذات وتر واحد يطول ويقصر فيصدر كل النغمات، لأن كل شيء مُبرمج مُنظم وكأنه يصدح بأنشودة واحدة مُقدرة الإيقاع؛ فمن إذن نظم إيقاع كل تلك الحشود!، قال طنطاوي جوهري: "(إذن) العالم كله على وتيرة واحدة (لأن طبيعة كل شيء واحدة)"[٢٤]، "فسبحان من شَكَّل الأشكال المُختلفة والألوان البديعة والأصل واحد"[٢٥]، "وإن الناس طُربوا لنغمات العود؛ لما فيها من النظام..، فأي فرق بين العود وبين نظام (الطبيعة)؟..، هذه نغمات لا يعقلُها إلا العالمون..، أفلا ترى أن هذه (نغمات) أرسلها الله في الطبيعة.. (كما لو أنها) العود الذي أنتج أحسن النغم!"[٢٦].

---

[٢٢] طنطاوي جوهري؛ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ ١٣٥١هـ (١٢ ١٨٠).
[٢٣] طنطاوي جوهري؛ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ ١٣٥١هـ (١٤٦\١).
[٢٤] طنطاوي جوهري؛ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ ١٣٥١هـ (١٧ ١٤٦).
[٢٥] طنطاوي جوهري؛ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ ١٣٥١هـ (١٠٨\١١٩).
[٢٦] طنطاوي جوهري؛ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ ١٣٥١هـ (١٧ ١١٩).

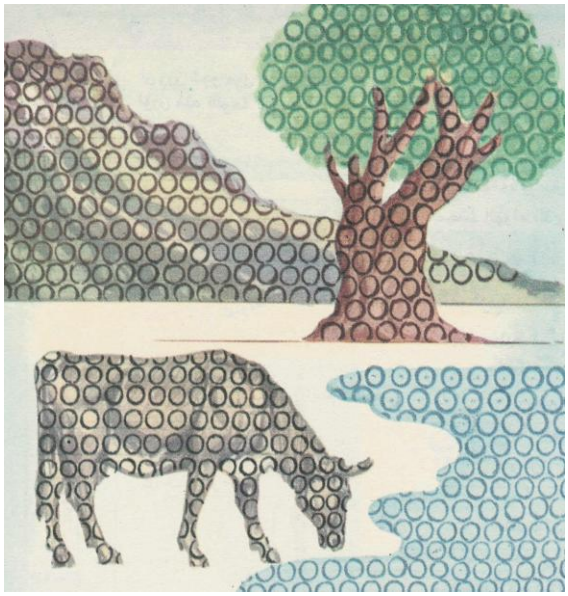

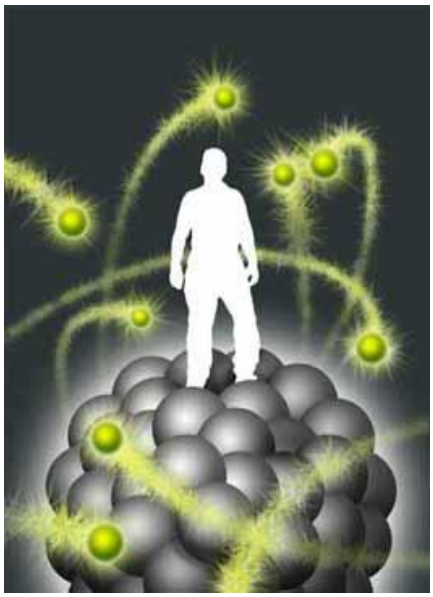

تتكون الذرات بأجسام كل الكائنات من نفس اللبنات، وأصلها جميعًا يرجع إلى لبنة أساسية واحدة؛ طبيعتها الحركة في عَجَل، خلق أخيرا منه الإنسان؛ على ظاهر اللفظ لا المجاز.

والتعبير المُذهل: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ وصف الكون كله بأصله الأول؛ قوة واحدة عاجلة الحركة هي أساس بنية كل الأجسام، فأفاد أن الحركة في عجل طبيعة كل شيء، وأن الكون مُدبَّر في نظام Order؛ ومأمُور ينطق بآمر يُدَبِّرُهُ، قال طنطاوي جوهري: "هذا النظام الجميل شاهد عدل على إله نظمه بعلمه وأحكمه بقدرته، فإن هذا العالم المُشاهد لا يُمكن أن يصدُر إلا عن إرادة؛ لأن المادة عمياء جاهلة والجاهل لا يعطي علمًا"[٢٧]، "إذن الأمر إن هو إلا تجليات ومظاهر لقدرة المحيط علماً..؛ طُبعت في هذا الخلاء الفسيح طبعاً، ظهرت لنا.. بهيئة حركات.. وتجلى لعيوننا بهيئة نبات وحيوان وشمس"[٢٨]، "فما هذا العالم كله إلا حركات"[٢٩]، "وهكذا الزرع.. والحيوان وأجسام الناس"[٣٠]، نشأ الإنسان إذن على رأس كل مخلوق؛ وطبيعته وأصل خلقته الحركة في عجل، وبخلاف بيان طبعه العجول: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ ١٧الإسراء:١١؛ يكشف النبأ طبيعته وأصل خلقته: ﴿خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ ٢١الأنبياء:٣٧.

[٢٧] طنطاوي جوهري؛ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ ١٣٥١هـ (١٢\ ٢٥٩).
[٢٨] طنطاوي جوهري؛ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ ١٣٥١هـ (٢٤\٩٣).
[٢٩] طنطاوي جوهري؛ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ ١٣٥١هـ (٢٠\ ٣٢).
[٣٠] طنطاوي جوهري؛ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر؛ ١٣٥١هـ (١٥\ ١٨٨).

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

في تفسير مجمع البحوث: "{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ. لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ. وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ}٣٤سبأ:٣-٥، المفردات: {بَلَى}: حرف جواب يأْتي بعد النفي للإثبات. {يَعْزُبُ}: يبعد أو يغيب. {ذَرَّةٍ}: هباءَة أَو نملة صغيرة. {مُعَاجِزِينَ}: ظانين تعجيز آيات الله. {رِجْزٍ}: أَسوأ عذاب. التفسير: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ}: وقال الكافرون: إن الساعة لا تأْتيهم إنكارًا منهم قيامها، وجحدًا لمجيئها فلما حدث منهم ذلك أَمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقسم لهم بربه جل علاه أَنها آتية فقال: {قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ} أَي: سيقع ما تنفون ويحصل ما تنكرون، ووصف سبحانه نفسه بأنه عالم الغيب كله، وهذا أَدخل في إقامة الحجة عليهم إذ أن قيام الساعة من أدق الأُمور الغيبية وأَخفاها، ثم أكد ذلك وعززه بأنه لا يبعد ولا يغيب عنه ما مقداره وزن هباءَة أو أصغر نملة كائنة في السموات ولا في الأَرض ولا أَصغر من ذلك ولا أَكبر إلا وهو مسطور مسجل في كتاب واضح بين وهو اللوح المحفوظ، وليقطع الله عليهم طريق اللجاجة والتكذيب أَنذرهم بالجزاءِ على العمل، فالله سبحانه بحكمته جعل لكل عمل جزاءً فالمحسن يثاب كما قال تعالى: {لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ}؛ أي لتأْتينكم الساعة ليثيب الله سبحانه من تمكن الإيمان في قلوبهم فأَثمر الأَعمال الصالحة، والأَفعال المرضية، لهم دون غيرهم غفران ما عسى أَن يكون قد وقع منهم من هفوات فهم بشر ولهم مع هذه المغفرة العظيمة الواسعة الشاملة رزق واسع طيب حسن في دار النعيم. والمسيءُ يعاقب كما قال تعالى: {وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ}؛ أي أن أُولئك الذين يسعون بالإثارة والإنكار لآيات الله وقرآنه فينسبونه إلى السحر أو الشعر أَو الكهانة أو يقولون عنه إنه أساطير الأولين ظانين إبطال آيات الله أو تعجيزها عن أَن تصل إلى الناس في نقائها وصفائها لتعمل عملها الطيب المبارك في القلوب فتهديها إلى الحق والنور، أو أنهم يعملون على تعجيز المؤمنين عن تكثير أتباعها هؤلاء لهم دون سواهم عذاب بالغ السوء في إيلامه"[٣١].

[٣١] مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر؛ التفسير الوسيط، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى؛ ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م (٨ ٢٤٤).

الحَقْل العِلمِي Scientific Field

Physics

علم الفيزياء

المَوْضُوع Subject

Atom Structure

تركيب الذرة

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ١٠يونس:٦١.
- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ٣٤سبأ:٣.
- ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ﴾ ٣٤سبأ:٢٢.
- ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ ٢١الأنبياء:٤٧.
- ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ ٣١لقمان:٢٧.
- ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ ٢٩العنكبوت: ٤٣.
- ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ ٣٥فاطر:١٣.
- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ ٤النساء:٧٧.
- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ ٤النساء:٤٩.
- ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ ١٧الإسراء:٧١.
- ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ ٤النساء:١٢٤.
- ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾ ٤النساء:٥٣.
- ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ. وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ ٥٤القمر:٤٩و٥٠.
- ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ ٣٢السجدة:٥.
- ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ ١٧الإسراء:١١.
- ﴿خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ ٢١الأنبياء:٣٧.

- ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ٤النساء:٤٠.
- ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ. وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ ٩٩الزلزلة:٧و٨.